La Revue Marocaine de Psychologie
المجلة المغربية لعلم النفس

سمات الشخصية المعادية للمجتمع : شخصية النزيل العائد نموذجا

الدكتور محمد التومي - كلية الآداب والعلوم الانسانية عين الشق

المجلة المغربية لعلم النفس RMPSY.COM
تاريخ النشر: 2022/09/02

تقديم : أصبح من اللافت للمتتبع لتطور الجريمة، بمختلف تصنيفاتها الارتفاع المهول للجريمة داخل عدد من الدول ومن بينها المغرب فحسب آخر الإحصائيات المتحصل عليها ، نجد أن مصالح الأمن الوطني عالجت في سنة 2020 ما مجموعه 851.و343 قضية زجرية. في مقابل ساكنة تقدر ب36 مليون لنحصل على نتيجة صادمة وهي انه داخل كل ألف نسمة جد 24 فرد قام بفعل منحرف يعاقب عليه بعقوبة سالبة للحرية. **من هي الشخصية المعادية للمجتمع؟**

اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع يبدأ في الظهور منذ سن 13 وحسب الدليل الإحصائي والتشخيصي للأمراض النفسية والعقلية في نسختيها 4و5 . هذا الاضطراب يصيب 3% من الذكور و1 % من الإناث . يلبس هذا الاضطراب عدة أنماط سلوكية من المراوغة ،والخداع، واستغلال الآخرين ويصل في مداه إلى الاعتداء الجسدي إلى الاغتصاب والقتل. الشخصية المعادية للمجتمع، هي شخصية لا تحترم قيم وقواعد وقوانين ومعايير وأعراف المجتمع، بل إنه يتبنى قيما هدامة للمجتمع. من خلال تبني سلوك اللامبالاة والا مسؤولية ، مصحوبة بشراسة عدوانية غير مبررة . أي أن هجومها على الضحية لا يتوافق مع سلوك الضحية . لذلك تعتبر أن الشخصية المعادية ، تعاني برودا عاطفيا، بالإضافة إلى ألا تسامح مع الضحية رغم ضعفها. إضافة إلى ما سبق ذكره الشخصية المعادية للمجتمع. تعاني من مشكل آخر يتمثل في أنها لا تستفيد من إخفاقاتها، رغما معاقبتها بعقوبات سالبة للحرية . بل أن هذه الشخصية العادية للمجتمع تسقط إحباطاتها وسقطاتها في لوم الضحية.

من اجل أن نفهم الظاهرة الجريمة في المحيط الإقليمي أدلي ببعض الإحصائيات عن بعض الدول الجارة ونأخذ مدينة أوربية واحدة وهي باريس للمقارنة لا غير .

المغرب	الجزائر	تونس	باريس
851.343	258.171	300.000	314.530
1000/24	1000/6	1000/27	1000/157

من هنا كان اهتمامي بدراسة وتتبع الجريمة بشكل عام وخاصة في المغرب، على اعتبار أن الجريمة في بلد ما تعبر عن قلق واضطراب مجتمعي، نتيجة لأوضاع تستلزم النظر إليها بعمق وروية وبعد نظر. فالجريمة في حد ذاتها رسالة واضحة عن معاناة فئة سكانية من

اضطرابات نفسية ولدتها ، إكراهات أسرية وفاقة مادية وتربوية، تتمظهر في أشكال انتقامية، في حين ،وعلى غالبيتها هي معانات اتخذت من الرد العنيف، من خلال الضرب والجرح والسرقة والاغتصاب والابتزاز رسائل مشفرة لعلها تجد من يلتقطها ويحل رموزها.

لذلك أثار اهتمامي هده الشخصيات التي نعيش معها ف 1000/24 مغربي هو شخصية معادية للمجتمع ، إذا ماهي خصائص الشخصية المعادية للمجتمع.؟

حسب الدليل الإحصائي والتشخيصي للاضطرابات النفسية والعقلية الطبعة الخامسة الصادر عن الجمعية الأمريكية للطب النفسي. فقد تم تقسيم هده الشخصية إلى مرحلتين: المرحلة الأولى وتبتدئ من سن 15 حيث يكفي تواجد 3 أعراض للقول بأن الشخصية تدخل في هذه الخانة : ولكن يجب الإشارة إلى أن الشخصية المعادية للمجتمع تشترك في بعض الأعراض مع الشخصية النرجسية والشخصية الفصامية وكذلك الشخصية الهوسية أما الأعراض فهي:

- عدم القدرة على الانخراط والالتزام بالمعايير والقيم الاجتماعية.
- انتزاع ما يريد بالعنف دون الإكتراث للعواقب او القوانين او الشعور بالذنب.
- الكذب المتكرر وتوظيف أسماء مستعارة، التزوير، خداع الآخرين للانتفاع الشخصي ولتحقيق لذة عابرة.
- الاندفاعية، وسوء التقدير وغياب التخطيط.
- غياب الاستقرار النفسي والعاطفي، وإيذاء الآخر،مع إلحاق الأذى النفسي والمعنوي والجسدي.
- غياب الحذر و اللامبالاة بالحماية الذاتية وحماية الآخرين من التعرض للضرر سواء بدني وعقابي.
- غياب المسؤولية سواء في العمل و في كلما يتعلق بالتدبير المالي.
- غياب الوازع الديني وقيمي وآلا مبالاة واللاعقلانية وتقيم بدل ذلك تبريرات لا تقنع أحدا سواه.

في مرحلة السنة الثامنة عشرة فما فوق:

يتم اشتراط وقوع هذه الأعراض في 12 شهرا الفارطة ،مع وجود احد هذه السلوكات في 6 أشهر الأخيرة أما الأعراض فهي كالتالي:

- القيام بالأذى الجسدي على الأشخاص والحيوانات.
- أن يكون البادئ في الشجار من ضرب وجرح.
- أن يكون قد استعمل سلحا أو أداة حادة في هذا الصراع.
- أن يكون هو المعتدي بشكل على الآخر وبشكل فظيع على الضحية.
- أن يقوم بسرقة الضحية بعد الاعتداء عليها.
- أن يقوم بإكراه الضحية ذكرا كان أو أنثى بممارسة الجنس تحت الضغط.
- أن يقوم بإشعال النار تحت إصرار وترصد ورغبة في إيذاء الآخر.
- أن يقوم عنوة بتدمير ممتلكات الآخرين.
- أن يخون الأمانة ويقوم بالسرقات (سرقة الركاب).
- الكذب المتكرر للحصول على منافع ودفع العقوبات.
- سرقة أشياء سواء ذات قيمة أو بدونها.
- البقاء خارج البيت رغما عن الآباء قبل سن 13 سنة.

- الهروب من البيت الأسري على الأقل مرتين.
- أن يكون حدثا وحكم بالإيداع في مراكز حماية الطفولة.

في هذا المقام يجب الإشارة إلى أن الشخصية المعادية للمجتمع ،تشكل 56 % من العائدين للسجون . فمن خلال دراسة قمت بها سابقا كان موضوعها**"تمثلات النزيل على المؤسسة السجنية وأثره على الاندماج اللاحق".** وحيث كانت النتائج تلك الرسالة تؤكد تواجد تمثلات إيجابية للنزلاء على المؤسسة السجنية، مما دفعني بالضرورة في هذه الدراسة الحالية لمحاولة ،البحث في سمات وخصائص هذه الشخصية. مستحضرا كل التفسيرات والطروحات دون ميز أو تفضيل تهتم بالسجين العائد وكان همنا محاولة الإجابة على التساؤلات التالية:

1- هل حالة العود المتكرر تعود إلى معطيات سوسيو-اقتصادية فقط أم أنها وبالضرورة ترجع بالأساس إلى استعداد وتكوين نفسي جاهز للظهور بمجرد تحفيزه؟
2- هل للمؤسسة السجنية دور ما في حالات العود المتكرر؟
3- هل للمجال داخل المؤسسة للسجنية علاقة بالعود؟
4- هل لتفكك الأسرة وكذا غياب أحد الوالدين علاقة بالعود؟
5- هل يمكن اعتبار الدخل الاقتصادي المتدني سبب للعود؟
6- هل يمكن اعتبار العود عرضا نفسيا يبحث عن الإشباع؟
7- هل لخاصية الأنا علاقة بالعود؟
8- هل لاتجاهات الفرد علاقة بالعود؟
9- هل لتقدير الذات علاقة بالعود؟
10- وأخيرا أي علاقة لعقدة أوديب بالعود؟

وكإجابة مؤقتة وضعنا الفرضيات التالية:

1- حالات العود المتكرر هي حالة نفسية تحفزها ظروف قد تكون اجتماعية أو اقتصادية.
2- للمؤسسة السجنية دور في العود.
3- للمجال داخل المؤسسة السجنية علاقة بالعود.
4- تفكك الأسرة وكذا غياب أحد الوالدين قد يكون عنصرا مساعدا في العود.
5- الدخل الاقتصادي المتدني عنصر مساعد في العود.
6- العود هو عرض نفسي يبحث عن الإشباع.
7- لحالة العود علاقة بخاصية الأنا.
8- طبيعة اتجاهات الفرد لها دور في العود
9- لطبيعة تقدير علاقة بالعود.
10- الخروج الغير موفق من عقدة أوديب سبب محدد لحالة العود المتكرر.

وبعد تعرضنا لنظريات الشخصية وحاولنا قدر الإمكان تبيان انطلاقاتها ومشاربها وأدوات انشغالها قدرتها الإفادة في بناء تصور عام على شخصية النزيل العائد لنجد انها في مجملها;نظريات تتعامل ليس مع العائد بشكل مباشر, ولكن من خلال تصورات عامة حول

المنحرف والاسوي. ولم يحظ العائد بنظريات سيكولوجية محضة بل كانت الإشارة إليه إلا لماما .حيت ان السلوك الإجرامي ما هو إلا تفاعل عدة عناصر تتوحد في إطار الشخصية بحيث لا نرى السلوك الإجرامي، بل ما نراه هو شخص يقوم بالفعل لهذا يكون حريا بنا أن نعمل على تفهم الأسباب المؤدية للإجرام أولا، ثم أسباب العودة إليه ثانيا. الغاية هي الفهم والتنبؤ والتركيب.وللتحقيق نسبة كبيرة من صدقية النتائج ،قمنا بتقسيم البحث الميداني إلى ثلاثة مراحل :

1- المقابلة وكانت الغاية منها تخليص الحالات المدروسة وعددهم ثلاثون**30** من التوتر على اعتبار ان اللقاء تم مع النزلاء في قاعة المحاماة ومايرتبط بذلك من تمثلات لها علاقة بهذا المجال حيث يلتقي فيه النزيل والمحامي ونواب وكيل جلالة الملك وما يخلفه ذلك في أذهان النزلاء عند المناداة عليهم وتوجيههم لهذه القاعة مما دفع بالباحث إلى بذل مجهود كبير لإعادة التوازن النفسي والانفعالي للعينة المستجوبة.
2- أخذ الضغط الدموي من طرف طبيب المؤسسة عند بداية المقابلة ونهايتها والغاية من ذلك التعرف على المنحى الانفعالي للعينة المستجوبة.
3- بعد ذلك يتم تقديم الاستمارة وملؤها من طرف النزيل إلا انه تعذر ذلك كون أن اغلب الحالات وحتى المتمدرسة منها إلى حدود السنوات الأولى من الابتدائي لم تعد تهتم بالكتابة او القراءة مما اضطر الباحث بملء الاستمارة بنفسه.
4- تقديم بطائق الروشاخ إلى الحالات المدروسة حسب ماهو مشار إليه في البروتكول وعلى الأساس اخترنا عشوائيا تسع حالات من أصل **30** حالة علما أن الاستجابات لم تكن غنية كفاية، لذلك وظفناها وحللناها انطلاقا من الدلالة الرمزية للبطائق.:

لقد اهتدينا بعد رحلة بحث دامت سبع سنوات أن شخصية العائد تتميز بمواقفه واتجاهاته وسلوك هدام لقيم للمجتمع. لذلك عملنا على التعرف على شخصية العائد واستجلاء المحفزات والانفعال والأحاسيس والمؤثرات الفاعلة في شخصه دون إغفال الجوانب الاجتماعية. إلا أننا في هذا الإطار حاولنا استجلاء الجانب النفسي الذي نعتبره الوجه والمحرك لكل سلوك . فمن خلال عملية التكرار العود إلى الجرم بالفعل والممارسة، وما يضفيه من تدعيم السلوك وتبنيه والتعود عليه ليعتبر فيما بعد سلوكا عاديا ومحببا. وما لهذا التعود على العود من ركائز نظرية تدعم السلوك وتقويه. وكما لا يخفى أن هذا التدعيم يساهم وبشكل كبير في تشكل تمثل العائد على المجتمع الذي يعتبره ظالما ففي الاستمارة التي تم توظيفها في هذا البحث نجد في السؤال 12 ما نظرتك للآخرين خارج المؤسسة؟ اعتبر 12 من أصل 30 فرد الآخرون محتقرين لهم في حين اعتبر تسعة منهم الآخرين أعداء . مما يدفعه إلى التشبث بمن هم على شاكلته والمتواجدون أصلا بالمؤسسة العقابية، لما توفره مجال الاختلاط والمعاشرة والتفاعل مع نزلاء من مختلف الجنح والجرائم .كما تسمح بتناقل الخبرات والوسائل والتقنيات المؤدية إلى إنتاج نزيل لا يرى في المجتمع بكل مؤسساته سوى من يتهدده، ففي سؤال بالاستمارة الموظفة لهذه الغاية **السؤال 11 عن ما نظرتك لنفسك مع الآخرين داخل السجن** ؟ أجاب 20 من أصل 30 أنهم غير(**محضوضين**). في حين أجاب اثنان من العينة بكونهم (**أحبة**) وآخر بكونهم(**أسرته**) وآخر بكونهم (**سجناء**) والسجناء ليس بمعناه القدحي بل بمعناه الرجولي وبالتالي نجد 29 من أصل 30يحبذون السجن والعلاقة داخله. هذا يؤكد الفرضية الثانية والثالثة.

كما عبر 22 من أصل 30 أن العلاقة داخل السجن جيدة، هذا الذي يدفعه إلى تبني نظرية إفناء الآخر وإلحاق الأذى به رغبة في تحقيق أمن نفسي وغاية لعودة مبكرة إلى السجن.إن الجرم في حد ذاته هو نتيجة للتأثير المتبادل، والمعقد للظروف الخارجية الموضوعية والعوامل الداخلية الذاتية. بمعنى الوسط الاجتماعي و المجالي و الاستعداد النفسي للمرور إلى الفعل. وللوصول لتلك المرحلة هناك من يرى (من قبيل حسب بينتيل (1)أن تكون مجرما أو مجرما عائدا يستلزم الأمر أن تتوفر شروط:

-1- **الشرط الأخلاقي**: وهو عدم الاكتراث لما سيحل بالآخر عند القيام بالفعل.

-2- **الشرط الجزائي**: وهو عدم حصول التثبيط جراء استحضار العقوبة الجزائية.

-3- **الشرط ألأداتي**:وهو عدم التراجع عن القيام بالفعل.

-4- **الشرط الانفعالي**: وهو عدم التوقف عن الفعل جراء الشعور بالشفقة. حسب بينتيل(1)

وعليه فالنواة الصلبة للعائد تتكون من:

-1- النرجسية.-2- تبلد الإحساس.-3- العدوانية.-4- البرود العاطفي.

-الموقف السلبي ألإهمالي باتجاه الشخصية فيما يخص مصالحها الحيوية مثل الصحة والحصانة الجسدية والشرف والكرامة.

- **الموقف النرجسي**:حيث يتم القفز على حقوق الآخرين وعلى مصالحهم وإنكارها وهذا ما يتمثل في محاولة الاستيلاء على الآخرين, ففي الاستمارة وفي السؤال 13 **مانظرتك لنفسك وموقفك** ؟اعتبر 20منهم انهم على صواب في حين اعتبر 8 منهم انه على خطا وحيت ان السلوك الإجرامي ما هو إلا تفاعل عدة عناصر تتوحد في إطار الشخصية العائدة .يمكن النظر إلى بروز وتطور دوافع السلوك الإجرامي من خلال النظر في طبيعة تكوين شخصية العائد وذلك من خلال تحليل الديناميكية الداخلية لسلوكياتها, حيث الأفكار والانفعالات والأحاسيس وتأثرات العائد وهذا هو حاصل مجموع شخصيته.إن السلوك الإجرامي للعائد هو في أصله ذلك المرور إلى الفعل بشكل متكرر بحيث يعمل على تبني مواقف هدامة باحثا لها عن ما يزكيها عقليا حتى تبدو مقنعة ومبررة وشرعية. إنه عالم هوامي تبناه العائد كقيم ومواقف

(1) Vessele/s/c : politique criminelle-1Délinquance juvénile 1961 p :4

1تحل محل الشخصية في انسجام وتكامل، بحيث تصبح العادة هي معالم سلبية عن الآخر ونظرات ناقمة لقيم المجتمع كأساس للتعامل مع الآخر.حيث **أن هؤلاء العائدون نظرتهم للماضي سوداوية وتنبؤهم بالمستقبل ضعيف لدرجة العدم وهذا معناه غياب الأفق وانعدام الأمل والنظرة التفاؤلية للمستقبل** وهذا ما أكدته الاستمارة وكذا اختبار الروشاخ **ففي سؤالها الثامن نقط نفسك ولآخرين**؟23 من أصل 30نقط نفسه أقل من المعدل. إن النزيل العائد باعتباره نمط شخصية تتواجد بها عناصر تعتبر مقدمات سيكولوجية للسلوك الإجرامي. فنجد على المستوى الوعي واللاوعي ما قد يشكل الدافع أو الدوافع السامية للجريمة المحفزة أو المؤثرة فيها. حيث أن فعل إلحاق الأذى بالآخر لا يعتبر صدفة بالنسبة لمن أقترفها، فهي في أساسها معدة سلفا ومهيئة بكل مكوناتها الاجتماعية و السيكولوجية التي طورتها.-(بينتيل4: p 1961 bis.)وبالنظر إلى المسار الذي يؤدي إلى اكتمال المرور إلى الفعل ألجرمي الذي يتكون مراحل أربعة: (إتنجريف)(ديتيلو)

-1-مرحلة الرضا غير الفعال -2-مرحلة الرضا المعبر عنه-3-رحلة الرضى بالأزمة4-مرحلة الخاتمة

-أما المرحلة الأولى فهو تحقيق عمل لا شعوريا حيث لا يتظهر العائد بصفته الفاعل.

-مرحلة الرضى المعبر عنها يتم استشعار الفرد بكونه الفاعل في تذبذب بين الرغبة والرهبة حيث الحط من قدر الضحية مع دراسة الاحتمالات السلبية للفعل. إلا أن الفعل في هذه المرحلة غير مكتمل النمو.

-قبل الرضا يرى الباحث بان هناك أزمة تتطلب ان ينسجم العائد مع ذاته وذلك أساسي لإضفاء الشرعية على الجرم المرتقب.

-بعد مرحلة الرضا يترتب عليها وبالضرورة تغير في الاتجاهات والمواقف فذلك المنحرف الذي شابه تردد وخوف يشعر بعد القيام بالفعل براحة وانشراح.

على هذا الأساس أن نعتبر أن خاصية المرور إلى الفعل يسمح بتحقيق التالي:

-1- من خلال الفعل حيث يعمل العائد على تجاوز الصورة النكرة لشخصه داخل المجتمع.

-2- من خلال فعله يبحث عن –اعتراف- به وعلى هذا النمط. انه يحتج على رفض المجتمع له، ويعمل على أن يتم التعامل معه كعنصر خطير، من خلال حوار آو طريقة تواصل العنيف، بعد ما تعذر عليه أن يتقن لغة المجتمع، والتي هي الحوار والإقناع والتواصل البناء. إنها وكما ذكرنا مرارا، تقديم شخصه إلى العالم معلنا عن وجوده على هذه الشاكلة. باحتا لذاته الممزقة على هوية تجمعها وتكسبها قدرا ومكانة.

:شخصية المنحرف مكونة على شكل صورة تورية ورافضة لأي نوع من أنواع الطاعة مما يعطيها صفة الفاشل اجتماعيا ، فشله الوجودي يقلقه ،ويعطيه صورة محتقرة له ومقزمة لوضعه سواء أمام نفسه أو أمام الآخر . وهو بذلك يعيش وضعية النكرة على وجهين:

.1-نكرة الذات بوصفه مطرود أو مبعد.

2-إنكار النظام الاجتماعي له وعجز هذا الأخير كف الحاجة المادية للمنحرف.

هذا الإنكار المزدوج يترجم بالخوف المقلق و المتعب من غياب الشعور بالأمن المؤدي إلى دفع العائد و من خلال العنف دفعا إلى للعدوانية هذا الشعور هو سبيله الوحيد للإفلات من الوضعيات المقلقة .

إن المتفحص لهذا الوضع يجده متقاربا جدا مع الفرضيات التي عملنا في البحث الميداني وعلى إثباتها. الصورة الاجتماعية لذات العائد ستكون عبء ثقيلا على نفسه حيث الاستصغار، وانعدام الاستقرار، والشعور بالا أمن، كل هذه المعطيات تولد لدى العائد ضغطا نفسيا قاهريا، يبحث عن التنفيس والذي يتجلى في المرور إلى الفعل. ثم إن للاختلاط داخل المؤسسات السجنية دورا في تدعيم تلك الصورة السوداوية والقاتمة، التي يحملها معه إلى المؤسسة ويخرج أكثر إصرارا عليها بل وعلى صدق مواقف وشرعيتها، مما يبعد العائد يوما بعد آخر عن حظوظ إعادته إلى جادة المجتمع بما له وما عليه. ولا أدل على ذاك اعتباره للمؤسسة السجنية البيت الحنون، الذي في بعده يقترف جريمة أخرى للعودة سريعا ليجد مكانا للتباهي والتشجيع وكذلك لينقش لنفسه اسما <محترما> داخل <عائلته> الجديدة والمحببة إليه.

وهكذا نجد أن العائد ما هو في المحصلة العامة إلا فرد تبنى مواقف ناقمة على المجتمع زكتها ظروف اجتماعية غير صحية، لنجده مجرما ثم مجرما عائدا، ثم عائد إلى ما لا نهاية. بحيث أن استعداداته الفردية والوسط المريض اجتماعيا، ولا استبعد حتى مستوى ذكائه كان سببا في توفير كل الظروف لإنتاج نزيل عائد بامتياز. كيف؟ إن الشخصية العائدة هي شخصية مضطربة بالأساس مشوشة الإدراك هزيلة التمثل وهذا كله يؤدي إلى القلق كخاصية أساسية تميز شخص العائد القلق .

الجدير بالذكر أن السؤال 8 من **الاستمارة عرف بوضعك النفسي الآن؟** عبر 24 حالة من أصل 30 بأنه قلق ومتشكك هذا القلق النابع من الخوف الآخر فيعود الفرد إلى جذوره البيولوجية ليدافع عن ذاته الضائعة أصلا ضد هذا القلق الذي يسببه الآخر والذي سببته العلاقة الأبوية الإهمالية والنبذية أولا. **إنه يعمل على إزاحة القلق من خلال إزاحة الآخر.** فنفسيته حسب الاستمارة في السؤال28 مرة

هي نفسية تائهة في حين 13 من الحالات، لهم نظرة سوداوية سواء داخل السجن او خارجها فيما نقط 26 منهم أنفسهم نقط تقل على المعدل كرد فعل لفشلهم المجتمعي.

إن من الخصائص الأساسية في شخصية النزيل العائد وكما سبق ذكر ذلك أن أناه ضعيفة فنفسيته حسب الاستمارة 24 تائهة وهي كذلك لأنها لم تستطع أن تتبلور بشكل سوي، إنها بلغة فرويده ،لم تستطع استيعاب الأنا الأعلى ولا ضبط الهو، إنها أناة مبعثرة. وهذا هو سبب تميزها بصفتها ذاة قلقلة. ذاة تفتقد الأمن وهذا مصطلح يكون الدفاع عنه سببا في ارتكاب الجرائم,بل والعودة إلى ارتكابها, أن ظاهرة العود ، هي حالة نفسية تتميز بالحاجة القاهرة والضرورة الملحة التي تدفع النزيل العائد لتحقيق إشباع وقتي غايته ألحاق الضرر بالآخر والعودة إلى السجن. وهي مفعمة بمثيرات خارجية ولكنها ليست فاعلة بل مسهلة. وحيث أن الأنا ضعيفة أمام رغبات الهو ونزواته، لذلك نعتبر أن الاستعدادات النفسية للنزيل العائد لا تنتظر من الخارج إلا استثارات ضعيفة للمرور إلى الفعل. وبالمحصلة عند الحديث عن النزوات معناه **وبالحتمية المطلقة غياب القيم، غياب النظم ،غياب المعايير الاجتماعية وبالتالي، لا وجود لرادع من اقتراف الجريمة. حيث لا قيمة للضحية إلا بقدر تحقيق الفعل المارس عليها سواء ضربا أو سرقة للنشوة التي يحصل عليها النزيل** .والتي يتبعها تلذذ بالإهانات، سواء داخل مخفر الشرطة أو أمام المحاكمة ،بل من النزلاء من يهين حتى السلطة القضائية ويستفزها للحصول على أطول عقوبة ممكنة للعودة إلى جنته =السجن= وعليه.أجد نفسي أخلص إلى القول أن النزيل العائد هو كائن بيولوجي أو انه ضحية تتبيث في المرحلة البيولوجية من حياته ، المرحلة الفمية و الشرجية ،ولم يتسن له التعرف و استدماج المحيط بكل تجلياته.

- المحصلة النهائية للشخصية النزيل العائد أن المحيط الاجتماعي هو مجرد محفز مساعد، لا يعدو أن يكون مجرد مطية يتمسح فيها النزيل للتفريغ المكبوت و الانتقام من المجتمع وتحقيق اللذة على شاكلتين: (2)

الأولى من خلال إلحاق الأذى بالآخر وردع الخطر المحدق به- حسب ظنه- وكذا تحقيق الأمن النفسي من خلال نجاحه = حسب ظنه- من حيث نجاعة إستراتيجيته في تدمير الخطر أو إلحاق الأذى به .وهناك ثانية يتمثل عند عودته إلى السجن حيث التفاخر بالمنجز والتباهي بقيمة الضرر المتحقق على الضحية والتهكم والازدراء وما يطبع ذلك من تلذذ بالموضوع.

2- (الدكتورعبد الوهاب رواح :دار أبي رقراق فيديرانت2004)

في المرحلة الأولى :باعتباره منحى تقمصي و اختياري وتتبثت عليه الهوية من خلال المرور إلى الفعل. يسمح له بتحقيق كل رغباته الآنية حيث أن العائد له كما للمنحرف إحساس برغبة تحقيق العدالة بيده،

في المرحلة الثانية وبفعل الوقت تتضاعف حدة الرغبة فيه. ومن أجل الحد من هذه المعاناة يدخل تمثله على الخط ليبحث على إشباع آخر وهكذا دواليك,إنه وبالتكرار مع رغبة وبحدة الحاجة الجامحة التي تتقوى يوما بعد آخر. و للحد من هذا التحرش والاستلاب يتم النزوح لتحقيق الرغبة من خلال المرور إلى الفعل حيث النزوات تكون قوية لدرجة أنها تسحق الأنا. لنسقط في وضعية عدم إشباع دائمة وبالتالي أيا كانت درجة الإثارة تنتج قلقا حادا ،وفي هذا السياق نجد فرويده يقول في مؤلفه كرب الحضارة * الأنا تكره بل تمقت بل تتابع مسيرتها مع النوايا التي تشكل مصدر أحاسيس مرة دون أن تأخذ بالحسبان كونها تجلب لها الإحباط من

جراء لذة جنسية أو إرضاء حاجتها في البقاء.117- (.وعلى هذا الحال يصبح العائد فريسة ويعيش ضياعا داخل هذه الدائرة العدوانية المفرغة والمتسببة في القلق هذا الأخير يقوي العدوانية. هذا ما يذكرنا بقولة أودير1943:

3- **117- (جون لاكان في كتابه عن العدوانية في التحليل النفسي-مجلة الفرنسية للتحليل النفسي عدد13 سنة1949 صفحة312**

« -aussi bien que l'injustice ou le dommage ne sera réparé l'agressivité dominera les relations sociales. Restera aux aguets. Se rallumera a la moindre privation. Celle-ci fut-elle juste et objectivement motivée. »

وهذا يتوافق أيما اتفاق مع ما أوردناه في منظورنا لهذا الموضوع أكدته الاستمارة واختبار الروشاخ، حيث أن العوامل المحيطة ما هي إلا مثيرات ضعيفة ولا تعتبر في نظرنا عوامل محددة بل يبقى الاستعداد الفردي المحدد الرئيس لعملية المرور إلى الفعل,فالعوامل المهيئة والمعدة. وهي الأكثر حضورا ألا وهي الحالات الانفعالية والوجدانية وكذا الدوافع التي تجد تفسيرا لها من خلال الإيحاء.أما العوامل المفجرة للسلوك فهي تتواجد داخل كل الظروف السببية, سواء ضعف سببها أو نقص ووجدوها يحتل صفة الأساسية ، باعتبارها الطريق الملكي للمرور للفعل واكتماله على اعتبار أنها مسؤوليتها على غياب المقاومة الفردية أو بمنظور التحليل النفسي غياب الأنا وبالتالي فان غياب قوى التثبيط والكبح وخصوصا تثبيط القوى الإجرامية.حيث كما قال فرويده في كتابه عن العدوانية في التحليل النفسي(4) **"كل شيء يظهر أن هذه العدوانية تسقط على الموروث. على الأب. على المؤسسات. على المجتمع .أنها الصور المشوهة للأب والأم كما تم استدماجهم عبر مراحل في لاشعور الفرد . أمام هذين الشخصين حيث يشعر الفرد بالدونية والضعف والهوان حيث تغيب صورة الأبوية القادرة على التوسط في هذه العلاقة."**

4-مجلة الفرنسية للتحليل النفسي عدد13 سنة1949 صفحة312. 119- فرويده في كتابه كتابات في التحليل النفسي نشر بايوت باريس1929 ص29.

غياب هذه العلاقة دفعته أن يكون رد فعله مباشرو هذا يعني أنه في وضعية تستلزم منه أن يكون رد فعله سريعا في غياب تام لأي شعور بالإثم والذنب هذا السلوك طابعه العام هو الاندفاع أسلوبه تواصلي وهو العنف، فلماذا العنف؟

للعنف ثلاثة وظائف أساسية تخدم العائد على الشكل التالي (5):

ذكر في كتاب(-122-الجريمة والعود تحت إشراف فيليب بسول نشر /g: u: pأبريل2007.ص21.)

1- **وظيفة أسطورية تسمح له بحماية نفسه من التدمير ألهوامي.**
2- **وظيفة أداتيه تسمح بشرعنة الضرر الاجتماعي من أجل محاصرته والحد منه**
3- **وظيفة براديكماتية تسمح بإعادة بناء الرابط الاجتماعي من خلال الوسيط أو المحقق من خلال فتح حوار.**

العنف ليس تابتا ومحدد المعالم فهو بيو-نفس مرضيي ذهاني ولا يوجد لبودروم العنف فكل واحد يستطيع عرض عنفه الخاص (Bergeret.1984ga violence fondamentale/paris dunod.)

بالنظر للعوامل الثلاثة يتبين أن للعنف سبب آخر يحركه وراء تلك العوامل:

1- الوظيفة الأولى والمتمثلة في الخوف من التدمير ينم داخله خوف من الضياع هذا ما يسمح له بان يتواجد ككيان وحتى في غياب الآخر أو حتى على حساب الآخر ولو رمزيا.

5- ذكر في كتاب(-122-الجريمة والعود تحت إشراف فيليب بسول نشر /g: u: pأبريل2007.ص21.)

2- يسمح له بشرعنة سلوكه حتى لا يكون أناه ألأعلى أعنف مما هو عليه الآن.
3- يفتح باب النقاش من خلال الضحية مما يسمح للعائد ببناء خطاب مع الآخر .

وهكذا نجد أن دينامية الخطورة قد تسمح للعائد الخروج من المآزق وعلى هذا القياس يمكن الحديث عن انه لا يمكن الربط بين الماضي الإجرامي **والعود الحالي. بمعنى يمكننا القول لا علاقة سببية تربط بين الجرم الماضي والجرم الحاضر هذا معناه أنه لاتأثير تمارسه العقوبات المتكررة مادامت لتحقق المبتغى منها علنا وهو تعديل السلوك** وهذا ما اشرنا إليه مرارا بأن العائد يتشابه مع الذهاني من حيث تكرانه للواقع نعم مع احترام الفوارق التي تميز هذا عند ذاك. وهذا يحيلني للقول **بأن العائد هو مجرد كائن بيولوجي الحاجات**. (bis)

Bergeret.1984 gaviolence fondamental/paris dunod

إذا يتبين أن العائد من خلال عنفه يغطي على خوف وقلق عميقين،(6) واللذين هما المحركين الأساسيين لعنف العائد..يبقى أن أعلي توتر يعرفه الفرد هو تعتم الإدراك وضبابية الوعي والتوتر الزائد مع ظهور تهيؤات وتصورات غير واضحة ومشوشة وقد تكون .مرتبكة. ولا يدرك جسامة ما قام به إلا بعد فوات الأوان.ما يهمنا هو الأرضية المهيئة لظهور حالة الارتباك والنابعة من شعور داخلي سببه غياب الثقة في الذات والاضطراب والانزعاج المبني على مبررات هوامية نتيجة لعدم نضج في عملية التكيف والتقبل وإستدماج المحيط بنظمه وقيمه، بعبارة أخرى عدم تقبل الأنا الأعلى، بل والعمل على الحط منه وتقزيمه من خلال تبني مواقف

- Bergeret.1984 la violence fondamental/paris Dunod-6

معادية له، بل أن هذا الطرح يسمح لنا بالقول إننا أمام طرح مقبول نظريا دعمته الدراسة الميدانية.من خلال المقابلة والاستمارة واختبار الرورشاخ.وتكون المحصلة أن القلق على الوجود البيولوجي تتحطم أمامه كل المعايير والقيم و التوافقات الاجتماعية . حيث تصم الأنا على طلبات الأنا الأعلى، كيف لا وقد سبق وقلنا بأن أنا العائد هي أنا ضعيفة فاقدة لأي قدرة على التوفيق بين طلبات الهو والأنا الأعلى، كما يمكن القول إن التزوات قد أعدمت الأنا.وبذلك لا يوجد أي استيعاب للقيم الاجتماعية ومن خلالها يفقد الإنسان هويته البشرية ليتحول وكما سبق ذكر ذلك آنفا لكائن بيولوجي دون معايير ،**ودون قيم.نحن نعتبر أن قيمة الظروف المحيطة وقوتها ثانوية لأن السؤال الذي سيطرح نفسه لماذا سلك هذا السلوك ولم يسلك سلوكا آخر مع العلم أنها نفس الظروف؟ هنا نقول بان الظروف المحيطة فاعلة ومؤثرة ولكنها ليست المحددة بدليل أننا نجد أطفالا نشئوا في ظروف اجتماعية قاهرة لنجد في نهاية المطاف القاضي والمجرم كما أننا نجد أطفالا نشئوا في ظروف مترفة لنجد كذلك من بقي ثريا ومن أصبح معدما. إذا العملية ليست ميكانيكية بقدر ما هي مرتبطة باستعدادات فردية.الشيء الأكيد أن الظروف المحيطة نعتبرها عوامل محفزة ومحفزة بشرط .هو مدى تمثل العائد لها من حيث قيمتها ومعناها وجدواها وبذلك نحن نتحدث عن محتواها الشعوري عند النزيل.** ولذلك لا يمكن أن نقف أمام التداول حول تأثر الفعل بالمحيط و لذلك

ودون التقليل من القيمة الفعلية للظروف الخارجية المحفزة للفعل ألجرمي. وجب ومن خلال ذات العائد ومن خلاله تكويناته النفسية النابعة من استعداداته النفسية.صحيح أن غالبية الحالات العشوائية التي تم التطرق إليها لعبت فيها الأسرة بشكل مباشر توجيها إلى التشرذم والانحراف ، فغياب البيت بالدرجة الأولى ،تم الأم باعتبارها مدرسة القيم والتقاليد والأعراف ، وقد يكون حتى استعداد الحالة للانحراف ،وعدم رغبتها للبحث عن حلول أكثر تشريفا. كذا شعوره النرجسي بالقدرة على العيش بدون أسرة على اعتبار تخمينات قد لا تكون واقعية وسريالية، على اعتبار أن فعل السرقة مثلا، قد يجني من وراءها أموالا،ومجدا وتمنحه قدر اجتماعيا على اعتبار ان جل الحالات تعتبر أن المادة سبب مبرر للسرقة، وبالتالي فبالمال تشتري مجدا ورفعة ومكانة داخل النسيج المجتمعي الذي نعيش فيه ،وهو وضع أصبح يبدو لي طبيعيا نظرا للجفاف ألقيمي للحالات التي تم التعامل معها ،باستثناء حالة واحدة التي أكدت على البعد الروحي والعاطفي وفضلته على كل الماديات التي رغب بها الآخرون .. **بالتكرار الفعل الإنحرافي المعاقب عليه قانونا، يصبح الفعل إدمانا ،يخفى من ورائه فقرا عاطفيا ودفئا عائليا .حيث تصبح قيمة الأشياء، تحل محل قيمة الأشخاص ،بل يتم البحث عن اللذة اللحظية من خلال عمليات السرقة (مثلا) وكأن فعل السرقة هو محاولة خلق مناخ يشعر صاحبه بنوع من الارتياح الوقتي، في انتظار رجوع الجوع العاطفي والقيام بنفس الفعل الذي سرعان ما يتبخر ليعاود الكرة والكرة لنسقط في الإدمان على الجريمة تسلق درجاتها للوصول إلى ارتكاب جناية.** ليبدأ في مرحلة أخرى من المعاناة بسبب الاعتقالات والسجن فبعد الاعتقال الأول وبعد اكتشاف تلك العلبة السوداء وهي السجن، وبعد اكتشاف توفر السجن على كل مستلزمات الحياة وحقوق لا يجدها النزيل خارجا من تغذية ومأوى وتطبيب واستحمام إضافة إلى ذلك كله حقوقه في التعلم في التكوين يصبح السجن مكانا محببا للنزيل العائد فمنهم من يقضي ثلاثة أيام، ليعود في اليوم الرابع، بجنحة أو جريمة خصوصا عند أولئك الذين ليس لهم من يهتم بشأنهم خارج السجن، أو من تعرف عائلته تشرذما وتفككا. في حين وجدنا صنفا آخر من السجناء الذين هم عائدون وغالبا بجنح أو جرائم ولكنهم يعودون بسبب اتجارهم في المخدرات أو السرقة .ولكن لهؤلاء عوائل تنتظرهم وأمهات تهتم لشانهم ،فهؤلاء يشتركون مع الأوائل في مبدأ أساسي وهو إحساسهم بالظلم نتيجة اعتقالهم ولا يعتبرون أنفسهم قد أجرموا في حق احدهم بل كلما قاموا به هو بحثهم سواء بيع المخدرات أو السرقة، عن لقمة عيش لهم ولعائلاتهم مادام أن **"الراجل هو لدخل القفة على ولادو"** لنلاحظ فصامية الخطاب فقد تم توظيف المبدأ وهو البحث عن الرزق وهو عمل محمود بوسيلة غير سوية كالسرقة أو الاتجار في المخدرات فالعائد في حديثنا معه- **وباستثناء الحالة الثانية والذي خلق عنده متغير جديد الزواج والمولود المنتظر والذي يرغب في الخروج من هذه الدوامة ليس حبا في ذلك ،ولكن له انتظارات كبيرة تتمثل في العلاقة التي تربطه مع زوجه، ورغبته بان يفتخر به مولوده، وكذلك ترضى عليه عائلة زوجته ،ولكن إذا ما فترضنا أن عائلة الزوجة أقنعت زوجته بالطلاق، وهذا الاحتمال قائم ،فلا استبعد أن تعود الحالة إلى السجن**- لا يشعر بالذنب جراء سلوكياته المنحرفة فسرقاته واتجاره في المخدرات غالبا لا يثير فيه أي نوع من القلق بل العائد عموما يقلق من شيئين إذا تم إطلاق سراحه فليس له مأوى، وبالتالي يضطر للقيام بجنحة تأتي سريعا وهذا في حالات الذين ليس لهم مأوى.

أما الشيء الآخر فهو بالنسبة للذين لهم انتظارات و أطماع مالية ،وخصوصا المتاجرون في المخدرات والسرقات فهم يهتمون كثيرا بمدة الاعتقال، وتوظيف أكثر من محامي للخروج من السجن ومعاودة الاتجار في المخدرات ،والسرقة وكذا المحافظة على أماكن نفوذهم . فهم يعتبرون دخولهم للسجن مرحلة نقاهة للعودة .

هنا يجب أولا أن نستخلص العائدين إلى السجن هم فئتان:

الفئة الأولى فئة لا تجد مأوى في الخارج ،وطورت ذكاء تكييفا بحيث أصبحت على دراية بالقانون الجنائي، ونوع الجنحة، وعقوبتها ،وبالتالي، فهذه الفئة أصبحت على دراية كافية بما تريده وطبيعة الجنحة وجناية التي ترغب في القيام بها. وهنا نتذكر الحالة التي

قامت باغتصاب طفل رغبة منها المكوث الطويل هذه المرة بالسجن ،وداخل هذه الفئة توجد فئة أخرى تقاسم الفئة الأولى غياب المأوى، إلا أنها تختار جنحا لتقضي الليالي المطيرة بالسجن، وان يتم الإفراج عنها في فصل الصيف ،لتعود في الفصل القادم وهكذا دواليك . هذا ما تشهد عليه حالة الاكتظاظ التي تعرفها السجون في هذه الفترة.

الفئة الثانية وهي فئة لها انتظارات وأهداف مادية صرفة ومنهم ومن هم تجار المخدرات والسرقات بمعنى ان النزيل العائد يبذل قصارى جهد في الاتجار، أو السرقات وهو واضع نصب عينه انه يوما ما سيعتقل وسيسجن ،وبالتالي فهو يضاعف الجهد في مجال انحرافه ، ويعد العدة لمثل ذلك اليوم من خلال البحث على صداقات قد تحميه من الجهاز المكلف بمحاربة السرقة ،أو الاتجار في المخدرات والتعامل مع محامي بارع، يشهد له الجميع في كفاءته في تخليص أناس متاجرين في المخدرات وأخذ معلومات مستفيضة على القضاة، والبحث على نقط ضعفه وقوته ولربما تقديم خدمات لهم قبل اعتقاله دون أن يكون هؤلاء على علم بالشخص وماهيته .

هنا نستخلص أن العود هو استعداد نفسي واختيار مسئول وتحضير مسبق تثيرها أهداف وانتظارات العائد، وبالتالي يمكننا القول أن النزيل العائد قد طور ذكاء نرجسيا هدفه خدمة أهدافه ومراميه، في حين أن الغاية المثلى للتربية الأسرية هي خدمة النفس والمجتمع في الوقت عينه .وهكذا يظهر الأثر السلوكي للحالات التي تم التطرق لها، فلا أحد من الحالات لام نفسه عن المنحى الذي سار عليه، باستثناء الحالة الثانية أما الباقي فقد اسقط كل معاناته على الآخرين واعتبارهم هم الفاعلون الرئيسيون في ما آلت إليه حياته.لقد تبين لنا من خلال مراحل هذا العمل أن" المجال داخل المؤسسة يلعب دورا في العود المتكرر" الفرضية الثالثة ولنا أن نستشف ذلك من خلال الاستمارة، فجميعهم أجمعوا على حسن العلاقة داخل السجن لوجود رفقاء الحي ،أو احد الإخوة، إلى غير ذلك هذا الذي سمح لنا باعتبار الفرضية الثانية فرضية صادقة ،وكما أنها صدقت مع جميع الحالات المدروسة. كما أننا نستنتج من خلال الحالات المدروسة صدق الفرضية الثالثة "للمؤسسة دور في العود" وأثرها يتمثل في المأوى والتطبيب والاستحمام ، ومجال يسمح باجتماع فئة مهمشة ،من المجتمع ورعايتها لتتكون لهذه الأخيرة اعتبار الحل للذين لا يملكون حلا ومأوى . في اعتبرت فئة أخرى السجن غير مرغوب فيه لأنه فقط يضر بمصالحهم ويوقف مؤقتا نشاطاتهم.

وتبقى الفرضية الرابعة "تفكك الأسرة وكذا غياب أحد الوالدين عنصر قد يكون مساعدا للعود" قد أكدت صدقتيها في جميع الحالات. في حين انشطرت الحالات حول الفرضية الخامسة**"الدخل الاقتصادي عنصر قد يكون مساعدا في حالة العود"** إلى من يؤكده و يحدده كسبب رئيسي للعودة إلى السجن ،وبين من يعتبر الدفيء العائلي والأسري أهم منه وبكثير.

فحين يبدو جليا أن الفرضية السادسة" العود هو عرض نفسي يبحث عن الإشباع تأكدت من خلال نكران الاعتبار لدرجة الجرم المقترف في حق الآخرين وأظهرت مدى نرجسيتها وانغماسها في ذاتها..

في حين تأكدت الفرضية السابعة **"لحالة العود علاقة بخاصية الأنا "** وهو قرار شخصي، اتخذته الحالات وعادت للسجن لأكثر من خمس مرات فالحالة الأولى عادت للسجن30 مرة ، والحالة الثانية عادت للسجن 45 مرة، والحالة الثالثة عادت للسجن24 مرة، الحالة الرابعة عادت للسجن 23 مرة .والحالة الخامسة عادت 16 مرة والحالة السادسة عادت ل19مرة والحالة السابعة عادت 15 مرة والحالة الثامنة عادت7 مرات والحالة التاسعة عادت ل45 مرة ،وبالتالي يغيب هنا أي مبرر للخطأ .وتكون العودة إذا عمل مقصود ،لغاية في المأوى أو لإجرام عد النزيل له عدته. وهنا نجد أن الفرضيتين الثامنة والتاسعة**"طبيعة اتجاهات النزيل لها دور محدد للعود"** وكذا**" لطبيعة تقدير الذات علاقة بالعود"** على اعتبار الأبعاد والمرامي والغايات التي يجري من ورائها كل نزيل. وفي الأخير تكون الفرضية العاشرة**" الخروج الغير موفق من عقدة أوديب سبب محدد لحالة العود المتكرر"** تبدو أيضا أن كل الحالات التي تم تعرض لها إما

أنها عانت إهمالا من الأب، أو أنه منحها حرية أكبر، ما سمح لها بتجاوز الحدود الاجتماعية ،أو أنها كانت أمام آب ضعيف الشخصية، ويعاني هو نفسه انحراف ما جعله لا يسترعي تمثل الابن به ، او لكونه كان متغطرسا فنفرت منه الحالة موضع الدراسة .

ولكن يبقى السؤال ما أثر الاعتقال في نفوس هؤلاء؟ كما قال اجلهم فالأثر النفسي للمؤسسة ينحصر في الاعتقال الأول لا غير ، تم أننا لاحظنا أن الجميع حيث ينعم الجميع بالراحة والرفقة وتقاسم الطعام والملبس، يحنو الميسور على الفقير مقابل خدمته، وقد تتنوع هذه الخدمة ، تبعا لطلبات الميسور وحاجياته وبالتالي فالعلاقة داخل المجال السجنى. علاقة جيدة ولايمكن اعتبار السجن ذلك المفهوم الكبير والمثير للقلق وبهذا المنحى أيمكن القول أن القوانين المنظمة للمؤسسات السجنية ، وما عرفته من تحيين مسترسل فيها سمح بهذا التمثل إيجابي للساكنة السجنية، وماذا بقي من إصلاح وإعادة إدماج؟ وأين يكمن الجواب هل في القوانين أو المؤسسات أم في استيراد مبدأ حقوق الإنسان بالغرب وإسقاطها في مجتمعات أخرى.تلك تساؤلات سنحاول تلمس مكوناتها في قادم البحوث والدراسات.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.